محبة الصغار للنبي صلى الله عليه وسلم

نهر آيدن جوكدومان

-سبعة سنوات فما فوق-

دار الأرقم

إستانبول: ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٣م

اسم الكتاب باللغة التركية: EN GÜZEL ÖRNEĞİM PEYGAMBERİM

الترجمة للعربية: محبة الصغار للنبي ﷺ

ترجمة: عبد الله المصري

مراجعة وتصحيح: أحمد حمدي

تصميم وتنضيد: حسام يوسف

ISBN: ٩٧٨٩٩٤٤٨٣٥٩٤٧

طباعة وتغليف: مطبعة دار الأرقم



▸ Adres: Ikitelli Organize Sanayi Bölgesi Mahallesi
Atatürk Bulvarı Haseyad 1. Kısım No: 60/3-C
Başakşehir - İstanbul / TURKEY
Phone: +90 212 671 07 00
(Pbx) Faks: +90 212 671 07 17
E-mail: info@islamicpublishing.net
Web site: http://www.islamicpublishing.net

المُحتَويات

المقدمة.. ٥
زيد في بيت رسول الله ﷺ.. ٧
من تختار يا زيد... ٨
زيد رضي الله عنه حِبُّ رسول الله ﷺ.. ١٠
ريحانتا النبي ﷺ الحسن والحسين.. ١٢
مَن شرب الماء أولاً؟.. ١٤
ليس منا من لم يرحم صغيرنا ١٦
أنس طفل لكنه يكتم الأسرار ١٨
أول غلام في الإسلام ٢٠
اللهم املأ بطن هذا الولد الصالح... ٢٢
يتيمة العيد.. ٢٤
الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم... ٢٦
فاطمة الصغيرة تدافع عن النبي ﷺ... ٢٨
اليتيمان الكريمان.. ٣٠
نداء الإسلام.. ٣٢
الرحمة بالضعيف.. ٣٤
لا تسأل الناس شيئاً.. ٣٦
زيد بن ثابت جامع القرآن وترجمان رسول الله ٣٨
المستهزئ الذي هداه الله ٤٠

كونوا شامةً في الناس.. ٤٢
لكنك عند الله غالٍ.. ٤٤
من فجع هذه بولدها؟.. ٤٦
ضيف النبي ﷺ.. ٤٨
حِلْمُ النبي ﷺ.. ٥٠
حزم النبي ﷺ.. ٥٢
حكيم الأمة.. ٥٤
اللّهم اجعل غناه في قلبه.. ٥٦
من يُضيف ضيفَ رسول الله ﷺ ٥٨
والله لا أعطيكما وأترك الفقراء ٦٠
لا تفضِّل ابنك على ابنتك.. ٦٢
مزاح النبي ﷺ.. ٦٤
وفاء النبي ﷺ.. ٦٦
يسبق حلمُه غضبَه.. ٦٨
بارك اللهُ في العشرة.. ٧٠
تصدقوا ولو بشِقِّ تمرة.. ٧٢
أفشوا السلام.. ٧٤
رحمة النبي ﷺ بأعدائه ٧٦
يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمنا مهاجرا.. ٧٨
والله ما هذا بِملك.. ٨٢
رحمة النبي ﷺ.. ٨٤
الوداع الأخير.. ٨٦

مُقَدِّمَة

كان النبي ﷺ في المدينة المنورة يخالط جميع المسلمين فقيرَهم وغنيَّهم، صغيرَهم وكبيرَهم، وكان يولي اهتماما خاصا للصغار، فيتبسط معهم ويلاعبهم ويتودد إليهم ويخصهم بالنصيحة والتوجيه.

حتى كان لكل واحد من صغار الصحابة ذكرى مع رسول الله ﷺ لا ينساها أبدا، فمنهم من لا يغيب عنه ذلك اليوم الذي لاعبه فيه النبي ﷺ والآخر لا ينسى يوم مازحه رسول الله ﷺ، وغيره لا ينسى هديةً خصَّه بها رسولُ الله ﷺ، وهكذا كبر صغار الصحابة في جوار رسول الله ﷺ، فصحبوه في حلِّه وترحاله، وسَعَوا في خدمته ومرضاته، فازدادت محبتهم له يوما بعد يوم حتى صاروا يحبون ما يحب ويحسون ما يحس، يفرحون لما يفرح ويهتمون لما يهتم له.

فهل لنا أن نعيش بعضا مما عاشه هؤلاء الصغار مع النبي ﷺ؟ وأن نحس ولو قليلا بشيء من ذلك الحب الذي فاضت به قلوبهم؟

وهل لقلوبنا الميتة أن تنبعث فيها الحياة ويسري إليها الدفء إذا ما قبست قبسا من رأفته ورحمته ومحبته ﷺ، وهو من أرسله الله تعالى رحمة



للعالمين، فإذا كان شعاع الشمس يبعث الدف والحياة في كل ذرة من ذرات الوجود ويصل إلى الجبال الشاهقة والأودية السحيقة ، ويجتاز أثرُه أعماقَ المحيطات وطباق الأرض، أفلا تبعث رحمة النبي ومحبتُه في قلوبنا الحياة والدفء.

إنّا لنرجو الله تعالى أن نَنْعُم في هذه الحياة بمحبته وأن تفيض على جوارحنا آثارها وتجلياتها حتى نأتيه يوم القيامة وعلى ألسنتنا شكرُه وفي قلوبنا محبته، فنقول يا رسول الله جئناك بقلوب ضعيفة صغيرة لكن ملؤها محبتك والشوق إليك.






زيد في بيت رسول اللّه ﷺ

كانت الدموع تنهمر من عينيه الصغيرتين وهو يقف وحيدا في سوق العبيد ينتظر من يشتريه، فبعد أن اختطفه قطاع الطرق وأخذوه بعيدا عن أهله وبيته صار لا مؤنس له ولا معين.

فاشتراه حكيم بن حزام وأهداه لعمته خديجة بنت خويلد، وحين تزوجت السيدة خديجة بالنبي ﷺ أهدته إياه فصار خادم رسول الله ﷺ.

ومنذ ذلك الحين أحبه النبي ﷺ ورعاه واعتنى به كأحد أولاده فنسي زيد بذلك مرارة فراق أهله، وأحس لأول مرة منذ زمان بعيد أنه صار في بيته وبين أهله لما رأى من شفقة رسول الله وإكرامه له.



من تختار يا زيد

ومرت شهور بعد شهور وزيدٌ يعيش في بيت رسول الله ﷺ حياةً ملؤها الحنوُّ والشفقة، فلم ير في النبي وزوجه خديجة إلا أبوين رحيمين رفيقين يعاملانه معاملة الأب الشفوق لابنه الضعيف.

ولكن وفي مكان آخر كان ثمة أبوان يتقلبان على الجمر حزنا على فراق ابنهما زيد، ولم يتركا مكانا إلا بحثا فيه عن فلذة كبدهما، حتى قادهما البحث والسؤال في نهاية المطاف إلى بيت النبي ﷺ في مكة، فطريق والد زيد وعمه باب النبي.

-يا أبا القاسم، سمعت عن كرمك وشرفك الكثير الكثير وإني قد أتيتك متوسلاً لك في حاجتي لتقضيها لي.

-قل يا أخي، ولن ترجع خائباً.

-أريد ابني زيد يا محمد، رُدَّه لي ولأمه المسكينة، وخذ ما تريد من مال ثمنا له.

-ولكن لك عندي خير من هذا.






-وما هو يا أبا القاسم.

-نسأل زيدا من يختار، فإن اختاركم فهو لكم ولن آخذ شيئا ثمنا له، وإن اختارني فلن أتخلى عنه أبداً.

فأتى زيد وسأله النبي ﷺ: يا زيد أتعرف هذين الرجلين؟

فما إن رأى زيد الرجلين حتى فاضت عيناه بالدموع وارتمى في أحضانهما شوقا لهما وقال: كيف لا أعرفهما وهما أبي وعمي.

فقال النبي ﷺ له: يا زيد، إنك لتعلم مكانتك عندي، وهؤلاء أهلك جاؤوا ليأخذوك معهم فاختر ما تريد، إما أن تبقى في بيتي أو أن تذهب مع أبيك.

وهنا نظر زيدٌ إلى أبيه وعمه وقال مالم يتوقعاه أبداً:

لا والله يا محمد، لن أتركك أبداً، وسأبقى خادماً لك ما حييت، فلقد كنتَ لي نعم الأب والأم والمربي.

وهنا تملكت الدهشةُ الأبَ والعمَّ وصرخا مغضبين في وجه زيد: ويحك يا زيد، أتختار العبودية علينا.

فرد زيد: ولكني رأيت من هذا الرجل من الرحمة والشفقة مالم أره من أهلي.

عندها قام النبي ﷺ ونادى في الناس: أيها الناس، اشهدوا أني أعتقت زيداً فهو حر بعد اليوم، واشهدوا أن زيداً ابني.

هنا اطمئن أبو زيد وعمه على ابنهما وأن محمداً ﷺ سيكون أرحم به منهما فتركاه عنده وعادا إلى أهلهما مطمئنين أنهما تركا ابنهما في أيدٍ أمينة.



زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

حِبُّ رسول اللّه ﷺ

وتمضي الأيام سراعاً ويكبر زيد في بيت النبي، ويكون من أوائل من آمن بالنبي ﷺ، ويهاجر معه ويشهد تحت راية النبي كل المعارك حتى تأتي معركة مؤتة فيولّيه رسولُ الله أمارة الجيش وينال شرفَ الشهادة فيها، فيُسر النبي لهذا الشرف الذي ناله زيد، ولكنه يبكي







على فراقه بكاء مراً، يبكي عليه بكاء الحبيب على حبيبه، بكاء الأب على ابنه، ويجمع أولادَ زيد في بيته ويواسيهم ويربيهم ويكون لهم أبا لهم بعد استشهاد أبيهم زيد، ويعاملهم كما يعامل أحفاده الحسن والحسين، ويكبر أسامة بن زيد في حجر رسول الله، ويحبه رسول الله حباً كبيراً حتى يصير الحبيب بن الحبيب، ويناديه الصحابة:

(الحِبُّ بن الحِبِّ).

ويكون شفوقاً عليه رحيماً به، ويعوضه عن فقد أبيه، حتى إنه وقع مرة على الأرض وسال الدم منه فهرع النبي إليه يمسح عن وجهه الدم ويضمه إليه.

ويكبر أسامة ويصحب النبي في فتح مكة ويشاركه في هدم الأصنام حول الكعبة وتطهير الكعبة من رسوم المشركين.ولا تمضي سنة بعد فتح مكة حتى يغدو أسامة قائد جيش النبي لفتح الشام، ويموت النبي ﷺ وأسامة ابن الثمانية عشر عاما قائد جيشه.



ريحانتا النبي ﷺ

الحسن والحسين

كان لنبينا ﷺ سبطان هما الحسن والحسين رضي الله عنهما، أبوهما سيدنا علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، وأمهما سيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وكان النبي ﷺ يحب سبطيه هذين حباً جماً، ويقول عنهما:

(هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا) رواه البخاري.

وكان يحرص كثيراً على لقائهما وزيارتهما، ويلاعبهم ويمازحهم، فمرة أركبهما على ظهره وهو يقول لهما:

(نِعْمَ الْجَمَلُ جَمَلُكُمَا ، وَنِعْمَ الْعَدْلانِ أَنْتُمَا) رواه الطبراني، والعدلان الفارسان.

وذات مرة دخل الحسن والحسين رضي الله عنهما المسجدَ، فكان النبيُّ ﷺ يصلي إماماً بالناس، ولما رأوه اجتازوا الصفوف حتى وصلوا إليه، فلما

سجد النبي عليه الصلاة والسلام صعدا على ظهره يلعبان ويمرحان، فأطال النبي ﷺ سجوده حتى انتهى الحسن والحسين رضي الله عنهما من اللعب وانصرفا، ثم تابع النبي ﷺ صلاته فلما انتهى سأله الصحابة رضي الله عنهم عن سر أطالته للسجود فقال لهم:

(إِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ ، أَنْ أُعَجِّلَهُ) رواه الإمام أحمد

فالنبي ﷺ من حرصه على الحسن والحسين رضي الله عنهما خاف إن قام من سجوده أن يسقطا عن ظهره فتركهما حتى انتهيا من اللعب وانصرفا ثم قام من السجود، وما هذا السلوك من النبي ﷺ إلا تعليم لنا كيف نتلطف بالصغار ونتودد لهم.





مَن شرب الماء أولاً؟

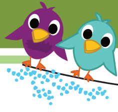
لم يكن النبي ﷺ حريصاً على ملاعبة الحسن والحسين رضي الله عنهما فقط وإنما كان يربيهما دائماً ويعلمهما الأدب والخلق الرفيع.

فذات مرة كان النبي عليه الصلاة والسلام في بيت ابنته فاطمة رضي الله عنها وألحَّ عليه الحسن والحسين رضي الله عنهما في أن يقضي الليل عندهم، فبقي إكراماً لهما ولاعبهما حتى تعبا وناما، وفي الليل استيقظ الحسن فطلب ماءً ليشرب واستيقظ الحسين أيضاً فطلب ماء ليشرب، فأتى النبيُّ عليه الصلاة والسلام بالماء للحسن رضي الله عنه ثم رجع وأتى بالماء للحسين رضي الله عنه، فسألته السيدة فاطمة رضي الله عنها:

لم أعطيتَ الحسنَ أولاً.

فأجابها لأنه طلبه أولاً.

فما أراد النبي ﷺ أن يفرق بين سبطيه ويفضل أحدهما على الآخر، وإنما أراد بذلك أن يعلم الحسين رضي الله عنه الصبر والتأدب مع الآخرين، وأن لا يتعدى على حق غيره.





ليس منا

من لم يرحم صغيرنا

كان النبي ذات يوم جالسا بين أصحابه في المسجد يحدثهم ويشاورهم في أمور المسلمين، وإذ بالحسن والحسين يُقبلان عليه ويرتميان في أحضانه، فيُقبل عليهما النبي ﷺ ويلاعبهما ويمازحهما أمام أصحابه، لا تمنعه هيبته أن يلاعب صغاره ويقبلهم أمام أصحابه.

وإذ بسيد بني تميم إحدى أكبر قبائل العرب يدخل المسجد ليلتقي النبي ﷺ فيراه على هذه الحالة وهو يلاعب الحسن والحسين ويقبلهما، فيَعْجَب أيما عجب من فعل النبي وملاطفته لصغاره أمام الناس، ويقول له: والله يا رسول الله، إنَّ لي عشرة من الولد ما قبَّلت أحدا منهم أبدا، فيَعْجَب النبي لهذه القسوة، وكيف لا تتحرك الرحمة في قلب الأب تجاه أبنائه، فيقول له:

(إن كان الله نزع الرحمة من قلبك فما ذنبي؟)

(مَنْ لا يَرْحَمِ النَّاسَ لا يَرْحَمْهُ اللهُ)

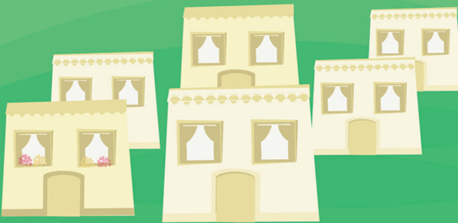



ولذلك كان النبي دائمَ المودة للصغار كثيرَ الملاطفة لهم، يألفهم ويألفونه، ويسر بهم ويسرون به، فمرةً دخل بيتَ أنس بن مالك فرأى أخاه الصغير يبكي، فسأل عن سبب بكائه، فقالوا له: إن عصفوره قد مات، فأقبل النبي عليه يواسيه يلاطفه حتى يخفف عنه ألمه.

وكان ﷺ يعلم أصحابه دائما أن يتلطفوا بالصغار ويتنزلوا لمستواهم فكان يقول لأصحابه:

(لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا ويُوَقِّرْ كَبِيرَنَا)







أنس طفل لكنه يكتم الأسرار

كان أنس محظوظا إذ أكرمه الله تعالى بصحبة النبي ﷺ وخدمته منذ كان صغيرا، فحين قَدِمَ النبيُّ إلى المدينة أقبل عليه أهل المدينة بالهدايا فرحا بمقدمه إليهم وكان من بين من أتى لتهنئة النبي أمُّ سُليم والدة أنس، فقالت للنبي ﷺ: إن الناس أهدوك وأتحفوك وإني أقدم إليك ابني أنس يخدمك ويعينك، ويكتب لك فقد علمتُه الكتابة.




فقبل النبي أنسا، ودعا له، وسُرَّ به لِمَا كان يتمتع به من ذكاء وفطنة، وكان يعامله معاملة الأب لابنه حتى قال أنس عن النبي ﷺ: خدمتُ النبيَّ عشر سنين فما ضربني ولا نهرني، ولا قال لي عن شيء فعلتُه لم فعلتَه.

وتمرُّ الأيام، ويكبر أنس في رعاية النبي وتوجيهه، وذات مرة يرسله النبي ﷺ إلى جهة من جهات المدينة لحاجة من حاجاته، فيخرج أنس ويلتقي في الطريق بعضَ أصدقائه من صبية المدينة فيلهو معهم وينسى حاجة رسول الله ﷺ، وفي غمرة اللعب لا يشعر أنس إلا بيد تربت على كتفه فيلتفت فإذا بالنبي يقف وراءه ويناديه بكل حنو: يا أنس هل ذهبتَ حيثُ أمرتك، فيعتذر أنس ويمضي إلى وجهته مباشرة.

وحين يرجع مساء إلى بيته وتسأله أمه: أين كنت إلى الآن يا أنس، يقول لها: أرسلني النبي في أمر لأقضيه له، فتسأله أمه: أين أرسلك، فيقول لها أنس: إنه سر بيني وبين النبي، وما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ، فتُعْجَب الأم بجواب ابنها وأمانته.

فتقول له: أحسنت يا بني، لا تخبر بسر رسول الله أحدا.

فهكذا كان رسول الله يربي أنسا وغيره من صغار الصحابة على كتمان السر في صغره ليكون أهلا لحفظ الأمانة في كبره.

أول غلام في الإسلام

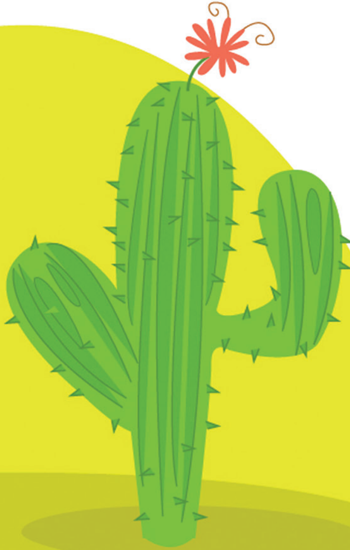
كبر أبو طالب وكثر عيالُه وقَلَّ المالُ في يديه، فأراد النبي ﷺ أن يساعد عمه ويعينه على إعالة أولاده، فتكفل بإعالة علي والإنفاق عليه تخفيفا عن عمه وردا للجميل الذي أسداه له حين رباه صغيرا.

وهكذا تربى عليٌّ في حجر النبي ﷺ وعلى عينه، ولما أكرم الله تعالى النبي بالرسالة بدأ النبي ﷺ يدعو خاصة أهله إلى الإسلام، وفي ذات ليلة دخل علي على النبي ليلا فرآه يصلي مع زوجته خديجة صلاة لا يعرفها ولم يراهما يفعلانها من قبل، فلما انقضت الصلاة أقبل عليٌّ على النبي ﷺ وسأله عما كان يفعل، فقال له النبي: إنه الإسلام يا علي، وإن الله أرسلني إلى الناس لآمرهم بعبادة الله وحده، وإني أدعوك لتؤمن بالله تعالى وحده وتكفر باللات والعزى وكل هذه الأصنام التي يعبدها الناس من دون الله تعالى.




فقال علي: لكني لا أفعل شيئا قبل أن أشاور أبي، فكرِه النبي أن يفشي عليٌّ سره والدعوة مازالت في بدايتها، فقال له: يا علي إن لم تسلم فاكتم عني ما رأيت وما سمعت.

فبقي عليٌّ طيلة الليل يفكر فيما قاله له النبي ﷺ، وهو من يعرف شفقتَه عليه ومحبته له، ولما أقبل الصباح شرح الله صدر علي للإسلام فرجع إلى النبي وسأله: أعِدْ ما عرضت عليَّ البارحة، فقال له النبي: أدعوك لتؤمن بالله وحده ولا تشرك به شيئا، فقبل علي وأسلم، ولكنه كتم إسلامه خوفا من أبيه أبي طالب، وهكذا صار أول غلام دخل في الإسلام.



اللهم املأ بطن هذا الولد الصالح

كانت المدينة المنورة تزدان ببساتين النخيل في كل ناحية من نواحيها، وما إن يأتي الصيف حتى تمتلأ الأشجار بأطيب التمر وأحلاه.

وفي ذات يوم من أيام الصيف الحارة، التقى رافعٌ بأصدقائه يلعبون في أزقة المدينة، ولما تعبوا رجع كلٌّ منهم إلى بيته يطلب الراحة، وبقي رافع يتجول وحده بين بساتين المدينة، واستهواه منظر أشجار النخيل وهي تنشر سعفها وتنوء بثمارها، فأوى إلى ظلالها وسال لعابه لما رآه من ثمارها الناضجة الحلوة، فأخذ يضربها بالحجارة حتى تساقط عليه بعض الرطب، ثم أوى إلى ظل شجرة وأخذ يلتهم ما جمعه من تمر







ورطب، وبينما كان رافع يأكل التمر بنهم شديد، أتاه صوت صاحب البستان غاضبا، من أنت أيها الغلام ومن أذن لك بدخول البستان، فقال رافع: سامحني يا عماه ولكني كنت جائعا ورغبت في بعض التمر، فنهره صاحب البستان قائلا: وكيف تأكل من بستاني دون إذن مني، وأمسك به ومضى به إلى النبي ﷺ لينال عقابه جزاء ما سرق من التمر.

ولما وصلا إلى النبي ﷺ، وأخبر الرجلُ النبيَّ بما فعله رافع، خفض رافعٌ بصره حياء من النبي وخجلا من فعلته، وانتظر أن يعاقبه النبي جزاء ما اقترفت يداه.

وهنا جاءه صوت النبي الحاني يعاتبه برفق:

يا بُنيَّ لما كنتَ ترمي الأشجار بالحجارة.

فأجابه رافع معتذرا: كنت جائعا يا رسول الله.

وهنا أحس النبي بصدقه فقال له ناصحا: يا بني، لا تدخل بستان أحد دون إذنه، وإذا ما أردت أن تأكل فكل مما يسقط على الأرض من التمر، ولا ترم النخل بالحجارة فإن هذا قد يضرها.

ولما سمع رافع كُلمات النبي الحانية اطمئن وامتلأ قلبه بالسكينة والرضا، وقال للنبي ﷺ:

أعاهدك يا نبي الله أن لا أعود إلى هذا مرة أخرى.

وهنا رفع النبي يديه يدعو له دعاء الأب لابنه: اللهم املأ بطن هذا الولد الصالح من عندك.



يتيمة العيد

أطل العيد ذات صباح على المدينة المنورة وانطلق الصغار إلى الأزقة يمرحون ويلعبون، و في هذه الأثناء يمر النبي ﷺ في أحد الأزقة ويرى الأطفال في لعبهم وفرحتهم فيسر لمنظرهم أيما سرور، ولكن يقع بصره على طفل قد انزوى في إحدى الزوايا وحيدا حزينا، فيتوجه إليه النبي ﷺ ويسأله عن حاله، ولِمَ لم يشارك الأطفال في لعبهم




ومرحهم، فيجيبه الغلام بحزن وأسى: لقد استشهد أبي وتركني وحيدا في هذا العيد، ليس عندي من جديد الثياب ولذيذ الطعام شيء مما أراه مع الآخرين، فلما تذكرته وتذكرت هداياه لي في الأعياد الماضية تجدد حزني وتألمت على فراقه.

فرقَّ النبيُّ للغلام وقال له:

أفلا ترضى أن أكون لك أبا، وأن تكون عائشة لك أما، وأن يكون الحسن والحسين لك إخوة.

فاغرورقت عينا الصغير بالدمع لما سمع هذا الكلام من النبي ﷺ، وقال: كيف لا أرضى يا رسول الله بأبي أنت وأمي.

فأخذه رسول الله ﷺ ومضى به إلى بيته، فأكرمه وألبسه وأطعمه، ثم خرج الغلام إلى الزقاق يلعب مع الصبية فِرحا مسرورا، فسأله الصغار مستغربين ما الذي غير حاله فصار مسرورا بعد أن كان مهموما، فأجابهم: كيف لا أكون مسرورا وأنا اليوم أسعد غلام في المدينة.

فسألوه: وكيف ذلك؟

فقال: كيف لا أكون مسرورا وقد صار محمد أبي، وعائشة أمي، والحسن والحسين إخواني، فبعد اليوم لن أكون يتيما.

الصادق الأمين

صلى اللّه عليه وسلم

مع مرور السنين وتتابع الفصول تضررت الكعبة المشرفة بفعل السيول والأمطار، ولما كان السيل الأخير - الذي ضرب الكعبة فصدع جدرانها - خاف أهل مكة على هيبة الكعبة ومكانتها في نفوس العرب فعزموا على إصلاحها وترميمها خشية انهيارها فجأة.

وهكذا اتفقت قبائل قريش كلها على المشاركة في بناء الكعبة حتى لا يفوتها شرف هذا العمل العظيم، فأعدوا العدة اللازمة وجمعوا المال الحلال الذي يحتاجونه، وبدؤوا العمل بهمة وإتقان، فهدموا الكعبة وأعادوا بناءها من جديد، لكنهم ما إن وصلوا في البنيان إلى موضع الحجر الأسود - الذي كانوا يعظمونه لأنه كان من حجارة الجنة - حتى اختلفوا فيما بينهم من يضع الحجر الأسود في مكانه ويحظى دون غيره بهذا الشرف، واستمر خلافهم أياما حتى كادوا ليقتتلوا فيما بينهم، وهنا اهتدى أحد عقلائهم إلى حلٍ عَلَّه يهدِّئ النفوس ويحل الأزمة، فأشار عليهم أن يحتكموا إلى أول من يدخل عليهم من باب المسجد الحرام ويرضوا بما يقول، فوافق الجميع على ذلك، وجلسوا




ينتظرون أول داخل عليهم من باب المسجد، فإذا به النبي ﷺ - وكان عمره خمسا وثلاثين سنة أي قبل البعثة بخمس سنين - فصاحوا جميعا: إنه محمد، إنه الصادق الأمين، رضينا به حكما.

وأقبلوا على النبي يعرضون عليه الأمر ويطلبون رأيه وحكمته، ولما سمع النبي مقالتهم علم خطورة الأمر وأنه لابد من حل المشكلة حتى لا تكبر وينشب القتال بين قبائل قريش، ففكر النبي ﷺ في الأمر واهتدى إلى حل رائع يرضي الجميع.

فطلب رداء ووضع عليه الحجر الأسود، وطلب من زعيم كل قبيلة أن يمسك بطرف من الرداء، وأن يرفعوه جميعا إلى الكعبة، ولما بلغوا مكان الحجر الأسود أمسك النبي بالحجر الأسود ووضعه في مكانه، فسُرَّ جميع الزعماء بهذا الرأي وقبلوا به.

وهكذا كانت حكمة النبي ﷺ وصدقه وثقة الناس به من أهم سجاياه وأخلاقه حتى قبل النبوة.



فاطمة الصغيرة تدافع عن النبي ﷺ

ذات يوم كان النبي ﷺ يصلي في فِناء الكعبة يتعبد ربه ويلتجئ إليه يسأله من فضله ويستعين به على دعوته، وكان يجلس من بعيد كفار مكة وزعماؤها يتضاحكون ويسخرون من صلاة النبي ﷺ، وبينما هم على هذه الحال إذ بقصَّاب - كان قد ذبح ناقة - يلقي بأقذارها وأمعائها، وهنا تخطر لهؤلاء الفجار فكرة خبيثة، فيقوم أحدهم و يعرض جائزة لمن يأخذ هذه الأوساخ ويرميها على النبي وهو ساجد، فيقوم أحدهم ويلقي كل هذه الأقذار على ظهر النبي ﷺ وهو ساجد، فيسيل دم الناقة وروثها على وجهه الشريف وجسده الطاهر،






وتتعالى صيحات السخرية والضحك من زعماء قريش وكفارها على النبي وهو في هذه الحال من الهوان، ولا يجرؤ أحد من المسلمين أن يقوم فيرفع هذه الأقذار عن النبي ﷺ خوفا من زعماء قريش أن يبطش به أو يؤذيه.

ووسط هذا المشهد المريع الذي يضعف فيه الحق وينكمش، ويتعالى صوت الباطل ويصخب تخرج طفلة صغيرة بكل براءتها وضعفها لتقف في وجه زعماء قريش وقادتها وتنصر الحق وأهله، فتركض إلى النبي وهي تشتم هؤلاء الطغاة وتلقي عن ظهره الشريف ما رموه من أمعاء الناقة وقذرها.

ويقوم النبي من سجوده ويرفع يده إلى السماء لأول مرة ليدعو على كفار قريش وفجارها، يرفع يده وهو المقهور المظلوم ليدعو ربه أن ينصره ويعينه على هؤلاء الطغاة، ينادي ربه نداء المستغيث:

(اللهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ، اللهُمَّ عَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، اللهُمَّ عَلَيْكَ بِشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، اللهُمَّ عَلَيْكَ بعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، اللهُمَّ عَلَيْكَ بِأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ).

وتدور الأيام دورتها، ويستجيب الله تعالى دعوة نبيه فينصره على هؤلاء الطغاة فيُقتَلون جميعا في بدر.

لنعلم جميعا أن الحق ينتصر ولو بعد حين، وأن الحق تنصره أحيانا طفلة صغيرة كفاطمة الزهراء.

اليتيمان الكريمان

ها هي ناقة النبي ﷺ تدخل به إلى المدينة المنورة مهاجرا إليها من مكة المكرمة، وتسير الناقة وسط حشود المسلمين الذي يتلهفون لرؤية النبي ﷺ بينهم منذ زمن، ويترك النبي للناقة زمامها حتى تبرك في مكان ما، وما هي إلا دقائق حتى تبرك الناقة في أرضٍ ليتيمين صغيرين في المدينة هما سهل وسهيل.

ويقرر النبي ﷺ أن تكون هذه الأرض مكان المسجد الذي سيضم المسلمين في الصلاة الجامعة ليعبدوا ربهم وينشروا دعوتهم ويبنوا دولتهم.

ويطلب النبيُّ ﷺ من هذين الغلامين اليتيمين أن يبيعاه أرضهما ليبني عليها مسجده، فيأبى الغلامان أن يبيعاه الأرض بيعا ويرجوانه أن يقبلها هدية منهما للنبي ﷺ - الذي يحبانه ويرجوان شفاعته يوم القيامة - ولإخوانهم المسلمين.





ويُسَرُّ النبي من هذا الموقف الكريم لهذين اليتيمين الفقيرين ويثني عليهما خيرا، ولكنه لا يريد أن يبني مسجده على أرض أحد إلا بعد أن يعطيه حقه، فيشتري رسول الله ﷺ الأرض منهما بعشرة دنانير.

ويُسرع المسلمون جميعا في بناء مسجدهم الجديد يشاركهم النبي ﷺ وهو ينقل الحجارة بنفسه، ويشارك سهلٌ وسهيلٌ ببناء المسجد ويشكران الله تعالى أن أكرمهما بهذا الفضل العظيم، فاختار أرضهما مكانا لبناء مسجد النبي ﷺ.





نداء الإسلام

ها هم المسلمون قد بنوا مسجدهم في المدينة المنورة، وصاروا يأتونه ليقتدوا بالنبي ﷺ في كل صلاة، ولكن كان يعسر عليهم معرفة وقت الصلاة، فقد يأتي أحدُهم قبلَ الصلاة بوقت طويل فينتظرها خوفا من أن تفوته، وقد يأتي أحدهم بعد أن تنقضي الصلاة فيحزن على فواتها، فشكى الصحابة للنبي ذلك، فأخذ النبي يشاور أصحابه في هذا الأمر.

فاقترح أحدُهم أن يأخذ بوق اليهود فإذا حان وقت الصلاة نفخوا فيه فعرف الناس اقتراب موعد الصلاة فيأتون المسجد، ولكن كره النبي ذلك لأنه من عادة اليهود.





واقترح آخر أن يصنعوا ناقوسا كناقوس النصارى فإذا حانت الصلاة ضربوا به، فيعرف الناس اقتراب موعد الصلاة، لكن كره النبي ذلك لأنه من عادة النصارى.

ثم جاء عبد الله بن زيد أحد الصحابة يخبر النبي بما رآه في منامه، فقد رأى في الرؤيا رجلا يعلمه كلمات ينادي بها إذا حان وقت الصلاة، فطلب النبي منه أن يقولها أمام الصحابة:

الله أكبر الله أكبر

أشهد ألا إله إلا الله، أشهد ألا إله إلا الله

أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله.

حي على الصلاة، حي على الصلاة.

حي على الفلاح، حي على الفلاح

الله أكبر الله أكبر

لا إله إلا الله.

وما لبث أن أقبل صحابي آخر، فقال:

يا رسول رأيت في منامي مثل ما رأى أخي هذا، وسمعت رجلا يعلمني مثل هذه الكلمات.

فقال لهم رسول الله ﷺ: إنها رؤيا حق.

فنادى على بلال، وطلب من عبد الله بن زيد أن يعلم بلالا الأذان حتى يؤذن به، لأنه كان من أجمل الصحابة صوتا.

الرحمة بالضعيف

مَرَّ النبيُّ ذات يوم بأحد بساتين المدينة فسمع صراخَ عبدٍ يستغيث الناس ويستنجدهم، فهرع النبي إلى باب البستان ليرى أبا مسعود وكان أحد أصحابه يضرب خادمه ضربا شديدا.

فغضب النبي غضباً شديداً وصاح: (أبا مسعود، أبا مسعود)، ولكنَّ أبا مسعود لشدة غضبه لم يسمع نداء النبي، واستمر يضرب خادمه بالسوط ضربا شديدا.

فلما كان من النبي إلا أن اقترب ووضع يده على كتف أبي مسعود، وناداه بأعلى صوته: أبا مسعود، فالتفت أبو مسعود ليرى النبي ﷺ وراءه وقد احمرت عيناه من الغضب عليه لما يفعله بخادمه، فسقط السوط من يد أبي مسعود وأخذ يعتذر من النبي عما كان يفعله في حق

خادمه، فقال النبي ﷺ معنفاً أبا مسعود:

(أعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام).

فما كان من أبي مسعود إلا أن قال للنبي معتذرا:

أُشهدك يا رسول الله أنه حرٌّ لوجه الله تعالى.

فسُرَّ النبيُّ بمقولة أبي مسعود وقال له:

أما لو لم تفعل لأحرقتك النار،

وعندها وعد أبو مسعود النبيَّ ألا يضرب خادما له أبدا بعد اليوم.

ومن يومها يقول أبو مسعود: والله ما ضربت خادما بعدها أبداً.

هكذا كان النبي دائما يدافع عن الضعفاء والمظلومين، ويأخذ لهم حقهم ممن ظلمهم أو انتقصهم.



لا تسأل الناس شيئاً

جاء رجل فقير إلى النبي ﷺ يشكو له فقرَه، ويطلب منه صدقةً ليشتري طعاما لأهله، فحزن النبي لحاله، ولكنه أراد أن يعلمه كيف يستغني عن الناس فلا يطلب من أحدٍ شيئا، فقال للرجل: هل عندك في بيتك شيءٌ، قال الرجل: والله يا رسول الله ليس في بيتي إلا حصيرٌ ننام عليه وإناء نشرب فيه الماء، فقال النبي له: هاتهم لي، فذهب الرجل






إلى بيته وأتاه بهم، فلما وضعها بين يدي النبي ﷺ قال النبي لأصحابه: من يشتري هذين مني، فقال أحد الصحابة: يا رسول الله إنهما لا يساويان شيئا ولكني أشتريهما بدرهم، فقال النبي: من يزيد على ذلك، فقال صحابي آخر: أنا أشتريهما بدرهمين يا رسول الله، فأعطى النبي للصحابي الحصير وإناء الماء وأخذ الدرهمين، فأعطاهما للفقير، وقال له: خذ درهما فاشتر به طعاما لأهلك، واشتر بالدرهم الثاني فأساً ثم تعال إلي.

ذهب الرجل إلى السوق فاشترى طعاما لأهله واشترى فأسا، وعاد إلى النبي ﷺ، فأمسك النبيُّ الفأسَ ووضع فيها عصا، وقال له: اذهب إلى الجبل فاجمع الحطب وبعه في السوق ولا تأت إليَّ قبل خمسة عشر يوما.

وذهب الرجل، ففعل ما أمره النبي به، ثم رجع إليه بعد خمسة عشر يوما، فلما رآه النبي سأله: ما فعلتَ، فقال الرجل: يا رسول الله جمعتُ الحطبَ وبِعْتُه واشتريت طعاما وثيابا لأهلي وبقي معي عشرة دراهم، ففرح النبي بذلك وقال للرجل: أليس هذا العمل أفضل لك من أن تطلب الصدقة وتُذِلَّ نفسَك للناس، فمن كان يملك قوةً يستطيع بها أن يعمل وينفق على نفسه وعياله لا يحل له أن يطلب من الناس صدقة أبدا.

فالعمل مهما كان شاقا خير للمسلم من ذُلِّ السؤال.

زيد بن ثابت
جامع القرآن
وترجمان رسول اللّه

لما قَدِمَ النبيُّ المدينةَ أتاه الأنصارُ بغلام يتيم كان في الحادية عشرة من عمره، تبدو عليه علائم الذكاء والنجابة، قد حفظ سبع عشرة سورة، فقدموه للنبي ﷺ ليدعو له، فسُرَّ به النبي سرورا عظيما ودعا له وقربه.

ولما كانت غزوة بدر جاءه هذا الغلام وأراد أن يشارك مع النبي في جهاده وقتاله للمشركين ولكن رسول الله ﷺ ردَّه لصغر سنه وضعف جسمه.

وبعد الغزوة، وحين أسر النبي بعضا من مشركي مكة ولم يستطيعوا أن يفدوا أنفسهم بالمال طلب منهم النبي أن يُعلِّم كلُّ واحد منهم عشرة من أولاد المسلمين، ودعا رسول الله هذا الغلام وقال له: يا زيد أريدك أن تتعلم القراءة والكتابة حتى تعينني على مراسلاتي،




وبدأ زيد بهمة عالية يتعلم القراءة والكتابة ويجتهد في تحصيلها حتى حصلها في فترة قصيرة جدا.

وجاء النبيَّ ﷺ فرِحا بما أحرزه من نجاح وتفوق، ففرح به النبي كثيرا وشجعه على المضي في طريق العلم لما رأى من همته واجتهاده فطلب منه أن يتعلم اللغة العبرية ليقرأ للنبي بعض رسائله الخاصة التي تأتيه من اليهود، فتعملها زيد في سبعة عشر يوما.

ومن حينها صار زيد كاتب النبي ﷺ، يكتب بين يديه الوحي الذي ينزل به جبريل عليه السلام ، ويقرأ ويترجم للنبي رسائله التي تأتيه.

وتمر الأيام وتنمو هذه البذرة الطيبة التي رعاها النبي ﷺ، فيأمر سيدُنا أبو بكر زيدَ بن ثابت بجمع القرآن الكريم ليكون فضلُ زيد على كل من قرأ القرآن الكريم في الأمة من يومه إلى يومنا هذا، وما هذا كله إلا بتشجيع النبي لزيد على التعلم وحفظ القرآن الكريم.



المستهزئ
الذي هداه الله

لما رجع النبيُّ ﷺ بالجيش من حُنين إلى مكة، خرج مجموعةٌ من شباب مكة المشركين ينظرون إليهم في الطريق، فلما كانوا قريبا من مكة سمعوا سيدنا بلالا رضي الله عنه يؤذن للصلاة، فأخذوا يستهزئون بالأذان ويرفعون صوتهم وهم يقلدون بلالا ساخرين منه.

ووصل صوتهم إلى النبي ﷺ فأرسل وراءهم ولما وصلوا إليه وهم خائفين، سألهم النبي: من كان يرفع صوته بالأذان منكم قبل قليل؟، فأشار الشباب كلهم إلى أبي محذورة وكان عمرُه ستَّ عشرةَ سنة.

وهنا أيقن أبو محذورة أنه مقتول لا محالةَ جزاءَ استهزائه بالأذان وهو من أعظم شعائر الإسلام، وأطرق رأسه ينتظر أمر رسول الله ﷺ فيه، فقال له النبي: أذِّن كما كنت تؤذن قبل قليل، فاستحيا أبو محذورة من رسول الله ﷺ، وأعاد ما قال، فقال له النبي ﷺ: إنك لحسن الصوت، اقترب مني، فاقترب





أبو محذورة من رسول الله ﷺ وجلس بين يديه، فمسح رسولُ الله بيده الشريفة على رأسه وصدره ودعا له بالإسلام، ثم قال له:هل أعلِّمُك الأذان، فقال أبو محذورة: نعم، فقال النبي: قل مثل ما أقول، وبدأ رسول الله ﷺ يعلمه الأذن وأبو محذورة يكرر وراءه، فلما علَّمه الأذانَ كلَّه، قال أبو محذورة للنبي: يا رسول الله هل تسمح لي أن أرفع الأذان في مكة؟، فأذِنَ رسولُ الله له بذلك.



ومنذ ذلك اليوم وأبو محذورة يؤذن في مكة حتى مات رضي الله تعالى عنه وخَلَفَه أولادُه وذريتُه من بعده في هذه المهمة الشريفة.

وهكذا كانت رحمة النبي ولطفُه وحكمتُه سببا في إسلام أبي محذورة، فبعد أن كان يستهزئ بشعائر الإسلام أصبح هو من يرفع شعائر الإسلام.

كونوا
شامةً في الناس

كان النبي ﷺ يعتني بمظهره ونظافته، وكان يَحُثُّ أصحابَه على التجمّل والتزين، ويقول لهم: إنكم قادمون على إخوانكم، فأحسنوا لباسكم، وأصلحوا رحالكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس، إن الله لا يحب الفُحشَ ولا التفحش.

فكان رسولُ الله ﷺ إذا أراد الخروجَ من بيته نظر في المرآة فأصلح هندامه وسوى عمامته وسرّح شعرَه، وخرج إلى أصحابه في أجمل مظهر.

وكان يسألُه بعضُ أصحابه ممن يحب التأنق والتجمل كثيرا: يا رسول الله، إني أحب أن تكون ثيابي جميلة ومظهري أنيقا، فهل في هذا من بأس، فأجابه النبي ﷺ: إن اللهَ جميلٌ يحب الجمال.

ومرةً دخل النبيُّ المسجدَ فرأى أبا الأحوص أحدَ أصحابه وعليه ثيابٌ باليةٌ، قد أهمل أناقة مظهره ونظافة ثيابه،




فسأله النبيُّ معاتبا: ألديك مال؟،

فقال الصحابي: نعم يا رسول الله،

فقال النبي: من أي المال لديك؟،

فقال الرجلُ:

من كلِّ المال، فأنا غنيٌّ والحمد لله، وعندي بقر وغنم وإبل كثيرة، فعاتبَه النبيُّ وقال له:



إن الله يحب أن يرى أثرَ نعمته على عبده، فلتبدو عليك

آثارُ نِعَمِ الله عليك من غير سَرَفٍ ولا كِبْرٍ.

وهكذا يريدُ الإسلامُ من كل مسلمٍ أن يكون قدوةً للناس في نظافته وأناقته من غير إسرافٍ ولا تكبُّرٍ، حتى يكون كأنَّه شامةٌ بين الناس.

لكنك

عند اللّه غالٍ

كان النبيُّ ﷺ يتودد إلى أصحابه وخاصة البسطاء والضعفاء منهم، فيواسيهم ويلاطفهم، يحنو عليهم ويساعدهم، وكان من هؤلاء رجلٌ قبيحُ الشكل دميمُ الخِلقة، وكان كلما أتى من البَّادية إلى المدينة يأتي بهديةٍ إلى النبي ﷺ، فيقبلُها منه النبيُّ ويكافئه عليها ويعطيه هديةً قبل أن يسافر إلى باديته، وكان يقول عنه النبيُّ:

(زَاهِرًا بَادِيَتُنَا وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ)

فهو يهدينا من طعام البادية ونحن نهديه من طعام المدينة.

وفي ذات يوم مَرَّ النبي بالسوق فرأى زاهرا يقف حزينا أمام بضاعته يريد أن يبيعها، فيأتيه النبي من خلفه ويحتضنه ويضع يديه الشريفتين على عيني زاهر، ويحاول زاهرُ أن يتخلَّص من قبضة النبي وهو يظنه رجلٌ من الناس، فيقول: اتركني يا هذا، ابتعد عني، من أنت؟، ولكنه لما عرف أنه النبي ﷺ سكن وهدأ وسُرَّ بمزاح النبي معه،




هنا أخذ النبيُّ ينادي في الناس مازحا: من يشتري مني هذا العبد، فيقول له زاهر: لن يشتريني أحد يا رسول الله فأنا عبد ضعيف قبيح، ولكن رسول الله ﷺ يواسيه ويلاطفه فيقول له: لكنك يا زاهر عند الله لست بكاسد، أنت عند الله غالٍ.

فيُسَرُّ زاهر بكلام النبي ﷺ، ويعرف أن الجمالَ جمالُ القلوب لا جمالُ الأجساد، وأن الإنسان ينال رضا الله تعالى بعمله لا بمظهره.

من فجع هذه بولدهـــــــا؟

كان نبينا المصطفى ﷺ رفيقا يحب الرفق في كلِّ شيء، وكان رحيما يحب الخيرَ لكل الخلق، حتى الحيوانات، فكان يراعي حقوقها ويحافظ عليها ويمنع الناسَ من إيذائها.




ففي زمن النبي ﷺ لم تكن للحيوانات قيمة تذكر، حيثُ كان أهل الجزيرة يكلِّفون الحيوانَ فوق طاقته ولا يرحمونه ولا يشعرون به.

فذات مرة كان النبي ﷺ يسير في أحد طرق المدينة، فرأى جملا نحيلا منهكا قد هدَّه التعبُ من كثرة ما يحمل صاحبُه عليه من البضاعة، فتوجه النبي إلى صاحب الجمل وقال له: اتق الله يا رجل في هذه الدابة التي لا تتكلم، لا تحمِّلها فوق ما تطيق.

وذات يوم كان النبي ﷺ مع أصحابه في سفر، فجلسوا ليستريحوا من تعب الطريق، فوجد الصحابة عش طائر فيه فراخ صغيرة قد تركتها أمها وذهبت لتبحث لهم عن طعام، فأخذوا الصغار من العُش ليلعبوا بها، ولما عادت الأم ولم تجد صغارها في العش بدأت ترفرف بأجنحتها فَزِعَةً، وتطير هنا وهناك وهي تبحث عن صغارها، فلما جاء النبي إلى أصحابه ورأى ما يفعلون مع الطير وفراخها غضب ﷺ وقال لهم: من فجع هذه بولدها؟ أعيدوا لها ولدها.

لقد أراد النبي ﷺ من هذه الحادثة وأمثالها أن يعلم الصحابة الرحمةَ مع الخلق جميعا حتى مع الحيوانات التي لا تتكلم ولا تستطيع أن تعبر عن حاجتها، فمن لا يَرحَم لا يُرحَم.



ضيف النبي ﷺ

أراد العبَّاسُ عمُّ النبي ﷺ أن يعرف حالَ رسولِ الله ليلا كي يتأسى به ويتعلم منه، فخطر له أن يرسلَ ابنَه عبدَ الله ليكونَ ضيفا عند خالته ميمونة زوج النبي ﷺ، فذهب عبدُ الله إلى المسجد وصلى مع رسول الله ﷺ صلاة العشاء، وجلس ينتظره حتى انتهى من صلاته ثم أقبل عليه، فرحب به النبي وسأله عن حاجته، فأخبره أن أباه أرسله ليبيت عند





خالته ميمونة، ففرح به النبي ﷺ وأخذه معه إلى بيته وأكرمه وسامره قليلا ثم أوى إلى فراشه لينام، ولكن عبد الله الصغير لم ينم لأنه كان يريد أن يرى ماذا يفعل النبي في ليلته ليقلده ولخبر أباه بحال رسول الله في الليل.

ثم في جوف الليل قام النبي ﷺ فتوضأ، وقرأ آيات من القرآن الكريم، وذكر الله تعالى ثم قام يصلي، فقام عبدُ الله فتوضأ كما توضأ رسول الله ثم قام خلفه ليصلي معه، فصلى رسول الله ركعات قصيرة رأفه بعبد الله الذي قام يصلي خلفه، ثم نام قليلا قبل الفجر حتى أذَّن بلال للفجر، فقام النبي ﷺ من فراشه ليؤم الناس في صلاة الفجر وخرج معه عبد الله.

وهكذا أمضى عبد الله حياته وهو لا ينسى هذه الليلة التي كان فيها ضيف النبي ﷺ، وتعلم منه كيف يكون حال المؤمن في الليل مع ربه فكان هذا هو حال عبد الله في الليل طيلة حياته.



حِلْمُ النبي ﷺ

كان النبي ﷺ حليما يصبر على أخطاء الناس ويحاول أن يصلحها بالرفق واللين، حتى مع منافقي المدينة الذين كانوا مسلمين ظاهرا وكافرين باطنا، كان يصبر على إساءتهم مع علمه بنفاقهم رجاءَ أن يحسُن إيمانهم ويستقيمَ إسلامُهم.






وكان على رأس هؤلاء المنافقين عبدُ الله بن أُبَيٍّ بن أبي سلول، فكان هذا الرجل يكره النبي وينقم عليه لأنه صار زعيم المدينة بعد أن كاد عبدُ الله هذا أن يكون زعيم المدينة قبل هجرة النبي إلى المدينة، ولذلك كان يستغل كلَّ فرصة للإساءة للنبي وإيذائه.

ولما انتصر المسلمون في بدر حزن عبد الله هذا وأصحابُه وغاظَهم علوُّ شأنِ المسلمين وانتشارُ دعوتهم، وبدؤوا يحيكون المكائد الخفية والحيل السرية ليقفوا في وجه انتشار الإسلام، فكانوا يطعنون في الناس ويفترون الكذب على الأبرياء، ويحرِّشون بين الأصحاب.

وكان الصحابة كثيرا ما يشكون للنبي إساءات عبد الله وأصحابه، ولكن النبي كان يعلم نفاق عبد الله وكذبه، فكلما أتى به ليسأله عما يقال في حقه أنكر وحلف الأيمان المغلظة وأقسم بالله تعالى أنه لم يفعل شيئا مما يتهم به.

ولكن النبي كان يتركه مع علمه بكذبه لأنه لا بينةَ ولا دليل عليه، ويتركه علَّه يُصلح من خطئه ويقوِّم من سلوكه.



حزم النبي ﷺ

لما قدم النبي ﷺ المدينةَ المنورةَ كان يعيش فيها اليهودُ مع بعض قبائل العرب، وكان اليهودُ دائما يشعلون الفتنَ ويؤججون الحروبَ بين هذه القبائل، فحتى لا يستمر اليهودُ بهذا السلوك بين المسلمين كتبَ النبيُّ وثيقةَ المدينة بينه وبين اليهود، يبينُ فيها لكلِّ طرفٍ من أهل المدينة ما يجبُ عليه وما يجب له.

ولكنَّ النبي كان يحذَرُ دائما من اليهود وغدرهم ولا يطمئنُّ لهم أبدا، وفي يوم من الأيام ذهب النبي إلى يهودِ بني النضير للاتفاق على بعض الأمور، فانتهز اليهودُ فرصةَ وجودِ النبي في حيِّهم وأرادوا أن يقتلوه، واتفقوا أن يصعدَ أحد شبابهم على سطح البيت الذي كان النبي يجلس أمامه ليرميه بحجر فيقتله.

ولكن اللهَ تعالى العليمَ الخبيرَ أخبر نبيه بما يدبره اليهود، فقام النبي مسرعا إلى المدينة واجتمع المسلمون حوله وأخبرهم بما يدبر اليهود له، وأرسل إلى يهود بني النضير أن يخرجوا من المدينة لأنهم نقضوا العهد الذي بينهم وبينه، وأمهلهم عشرة أيام حتى يخرجوا من المدينة.

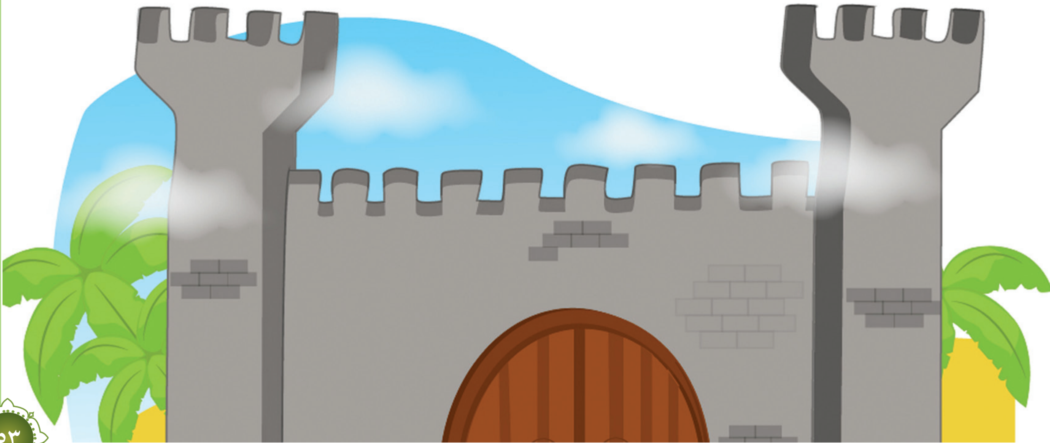



وهنا أرسل المنافقون وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن أبي سلول إلى اليهود ألا يخرجوا وأنهم سينصرونهم ويقفون معهم ضد المسلمين، فلما وصل كلام عبد الله المنافق إلى اليهود تكبروا ورفضوا العهد الذي بينهم وبين النبي ورفضوا الخروج من المدينة وأخبروا النبي أنهم مستعدون لحربه.

وهنا جمع النبيُّ المسلمين وحاصروا اليهودَ ستة أيام كاملة، وفي أثناء الحصار انفض المنافقون عن المسلمين، وتركوهم وحدهم في هذه الحرب حتى يُهزموا وينتصر عليهم اليهود.

ولكن اللهَ تعالى نصر نبيه، فاستسلم له اليهود، فأمرهم بالخروج من المدينة، فخرجوا منها وأخذوا معهم متاعهم وأموالهم.

وهكذا طهَّر النبيُّ المدينةَ من رجس اليهود الذين خالفوا العهد وتآمروا على الإسلام وأهله، ولم يرحمهم بل كان حازما معهم وشديدا عليهم.



حكيم الأمة

دخل النبيُّ ﷺ المدينة المنورة وشاع معه نورُ الإسلام في بيوت المدينة المنورة، ولكن ما زالت بعض بيوت المدينة تنأى عن نور الإسلام وهدايته، وتصرُّ على عبادة أصنامٍ لا تضرُّ ولا تنفع، وكان من هؤلاء أبو الدرداء عويمر بن زيد، فكانً يعكِف في بيته على صنم يصلِّي إليه كلَّ يوم صباح مساء.

وكان لأبي الدرداء صاحبان صادقان يريدان الخير له ويتمنيان إسلامه هما عبد الله بن رواحة ومحمد بن مسلمة، وحاولا كثيرا دعوته إلى الإسلام لكنه كان يأبى ويرفض، فاتفقا أن يعلماه درسا لا ينساه حتى يفكر مليًّا، ويعرف أنَّ الحقَّ في الإسلام وليس في ما هو عليه من عبادة الأصنام.

فذهبا إلى بيته في غيبته وكسرا الصنم الذي كان يعبده، ولما رجع أبو الدرداء إلى بيته ورأى ما حلَّ بصنمه حزن وغضب على من فعل هذا الفعل به، وبدأ يحاول جمع بقايا الصنم ويرممها، وهنا قالت له زوجته: ما بالك يا رجل، أتعبد صنما لا يحمي نفسه من اعتداء الآخرين عليه،

فتوقف أبو الدرداء، وأخذ يتفكر، فشرح الله قلبه للإسلام وأخذ يخاطب صنمه: تبا لك من إله لا تضر ولا تنفع، بل إنك لا تحمي نفسك من اعتداء الآخرين عليك.

وقال لزوجته: أعدي لي لباسي فأني ذاهب إلى محمد، وخرج إلى النبي يريد الإسلام، فلما أقبل أبو الدرداء إلى النبي ورآه أصحابه ظنوا أنه جاء يريد تعنيفهم لما فعلوه بصنمه، فأخبرهم النبي أنه إنما جاء ليُسلِم، وقال لهم: إن الله وعدني أن يسلم أبو الدرداء.

وجاء أبو الدرداء فأسلم بين يدي النبي ﷺ وفرح به النبي وأصحابه، وحَسُنَ إسلام أبي الدرداء حتى صار يلقبه المسلمون حكيم الأمة.



اللّهم اجعل غناه في قلبه

لم يغن العربَ اجتماعُهم على حرب سيدنا محمد ﷺ، فقد استطاع الإسلام أن ينتشر في أرض الجزيرة وأن ينتصر على العرب، حتى جاءته وفودهم تعلن الإسلام، وتقدم الطاعة لله ورسوله، ولم يكن في وفود العرب أوعى ولا أعقل ولا أحسن مَقْدَماً من وفد قبيلة تجيب.

فقد وفدوا على رسول الله ﷺ بإسلامٍ صادق وإيمانٍ مخلص وسلوكٍ مهذب،يسوقون بين أيديهم زكاة أموالهم، فلما قال لهم رسول الله: ردوها




إلى فقرائكم، قالوا: يا رسول الله، ما قدمنا عليك إلا بما زاد عن فقرائنا.

أعجب رسول الله ﷺ بهم، وسُرَّ سروراً عظيماً، فأحسن ضيافتهم، وأكرم منزلتهم، ثم سألهم: هل بقي منكم أحد؟ فقالوا: نعم، غلام خلفناه عند جِمَالِنا هو أصغرنا سناً، فقال ﷺ: أرسلوه إلينا لنكرمه كما أكرمناكم.

فانطلق الغلام يلبي دعوة الرسول، ويطفئ برؤيته ولقائه ظمأ الشوق إلى مقابلته، فلما دخل عليه سأله رسولُ الله عن حاجته، فقال: يا رسول الله حاجتي ليست كحاجة أصحابي،وإني والله، ما أقدمني من بلادي إلا أن تسأل الله لي أن يغفر لي ويرحمني، وأن يجعل غناي في قلبي، فلا أعلقه بشيء من الدنيا.

أَكْبَرَ رسولُ الله ﷺ الغلامَ، ودعا له: اللهم اغفر له وارحمه، واجعل غناه في قلبه. وعاد وفد قبيلة تجيب إلى قومهم يُسمِعُونهم ما سمعوا من توجيهات رسول الله ﷺ.

وتمضي الأيام، ويشتاق القومُ إلى رسول الله، فيعودون إليه في الموسم التالي، فيسألهم: ما فعل الغلام؟ قالوا: ما رأينا مثله، ولا رأينا رجلا أقنع منه بما رزقه الله، ولو أن الناس اقتسموا الدنيا، ما نظر نحوها، ولا التفت إليها.

سمع الرسول ﷺ شهادة القوم بالغلام،فقال: الحمد لله، إني لأرجو أن يموت جميعاً ولا تتشعب أهواؤه، وهمومه في أودية الدنيا، فمن مات وقلبه معلق بالدنيا لم يبال اللهُ تعالى به.

من يُضيف ضيفَ رسول اللّه ﷺ

كان رسول الله ﷺ رحيما بالضعفاء والفقراء لا يردُّ محتاجا يقصِد بابَه، وفي ذات يوم جاءه رجلٌ فقير قد هدَّه الجوعُ والفقر، فقال: يا رسول الله ﷺ إني مجهود، فأرسل النبيُّ ﷺ إلى زوجاته واحدةً تلو الأخرى يسألها هل عندها شيء، فكانت كلّ واحدة تقول: لا والله ما عندي إلا الماء.

تسعةُ أبيات للرسول عليه الصلاة والسلام ليس فيها إلا الماء، مع أن النبي ﷺ لو شاء أن يسيّر اللهُ الجبال معه ذهباً لكانت، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: من يُضيف هذا الضيف الليلة؟، فقال رجلٌ من الأنصار: أنا يا رسول، أنا أضيفه، فانطلق به إلى بيته وقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا، إلا طعام صبياني أعشيهم به هذه الليلة، فقال لها: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ واشغلي الأولاد حتى يناموا دون عشاء، فضيفُ رسول الله أحقُّ أن نكرمه.

ففعلت ما أمرها زوجُها وهدَّأت الصبيان وعلَّلتهم ونوَّمتهم، فناموا على غير عشاء، ثم لما قدَّمت العشاءَ أطفأت المصباحَ وأرت




الضيف أنها تأكل هي وزوجُها معه حتى لا يستحي لأنَّ الطعام كان بالكاد يكفي رجلا واحدا، حتى شبع الضيف وناما هما جائعين إكراماً لضيف الرسول ﷺ.

ثم لما جاء الصباح ذهب الأنصاريُّ إلى رسول الله ﷺ بالضيف، فأخبره الرسولُ عليه الصلاة والسلام أنَّ الله قد سُرَّ سرورا عظيما من صنيعه هو وزوجته تلك الليلة وإكرامهما لضيفهما مع أنهما لا طعام عندهم في بيتهم.

حتى نزلت في هذين الزوجين الكريمين آية في القرآن الكريم تمدح فعلَهما، وتثني عليهما، فقال الله تعالى عنهم:

﴿... وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ...﴾ (الحشر، ٩)



واللّه لا أعطيكما وأترك الفقراء

رجعَ سيدُنا عليٌّ رضي الله تعالى عنه إلى بيتِه آخرَ النَّهار مُتعباً من عملِه الشاقِّ - حيث كان يسحب الماءَ من البئر ويوزّعه على بيوتِ المدينة - فشكى لزوجتِه السيدةِ فاطمة بنتِ النبي ﷺ تعبَه جراء عمله الطويل، فبادلته السيدة فاطمة الشكوى، وبثَّته شكواها أيضا، فقد تشققت يداها من طَحْنِ بذورِ التمر لتجعلَ منها علفا، وتجرَّحت رقبتُها من حملِ قِرْبةِ الماءِ على عاتقها، وتغيَّر لونُ وجهها من لفحِ النّار وهي تخبز.












فلما سمع سيدُنا علي شكواها أشفقَ عليها، وقال لها: إني سمعت أن رسول الله ﷺ قد جاءه مال من الغنائم، فاذهبي إليه واطلبي منه خادمة تساعدك على عمل البيت، وتخفِّف عنك شيئا من المعاناة.

في اليوم التالي ذهبت السيدةُ فاطمةُ إلى أبيها ﷺ لتطلبَ منه خادمة تعينُها على عمل البيت، ولكنها لم تجده فأخبرت السيدةَ عائشة بحاجتها، ورجعت إلى بيتها.

ولما رجعَ النبيُّ ﷺ إلى بيتِه أخبرته السيدةُ عائشةُ بحاجةِ السيدة فاطمة وما تعانيه من المشاق، فتوجه النبيُّ من فوره إلى بيت ابنته.

فلما طرقَ النبيُّ البابَ ودخلَ البيت وجدَ سيدنا علي وفاطمة في فراشهما يريدان النومَ من شدة التعب، فجلسَ إلى جوارهما، وسأل السيدة فاطمة عن حاجتها، فشكت إلى أبيها ما تعانيه وطلبت منه أن يعينها بخادمةٍ تساعدُها، فعتِبَ عليها النبيُّ ﷺ طلبَها، وقال لها: كيف أعطيكِ وأحرمَ فقراءَ المدينة، لا والله لا أترك الناس جوعى لا يجدون ما يأكلون وأعطيكما، فلا بد أن تصبرا على تعب الدنيا وشقائها، ولكن ألا أدلُّكما على ما هو خير لكما من هذه خادمة تعينكما، فقالت السيدة فاطمة: نعم يا أبتِ، فقال لها ولسيدِنا عليٍّ رضي الله تعالى عنهما: إذا أردتما النوم واستلقيتما في فراشكما فقولا سبحان الله ثلاثا وثلاثين، ثم قولا الحمد لله ثلاثا وثلاثين، ثم قولا الله أكبر أربعا وثلاثين، فهذه مئةٌ في اللسان ولكنها ألفٌ في ميزان حسناتكما، فثواب الآخرة خير لكما من نعيم الدنيا.

لا تفضِّل ابنك على ابنتك

كان نبينا المصطفى ﷺ يعدِل بين أبنائه ولا يفضل أحدا على أحد، يعطي كلاً منهم مثل ما يعطي أخاه، ويَهَبُ البنتَ مثل ما يهب الولد، وكان دائما يحثُّ أصحابَه على العدل بين الأبناء.

فلما أتاه مرةً أحدُ أصحابِه يطلبُ منه أن يشهد على هبةٍ وهبها إلى أحدِ أبنائه سأله النبيُّ ﷺ: هل أعطيتَ كلَّ أولادك مثل هذا، فقال الرجلُ: لا يا رسول الله، أعطيتُ ابني هذا فقط لأنه أحبُّ أولادي إليَّ، فاعترضَ عليه النبي ﷺ وقال: أنا لا أشهدُ على زور.

ومرةً كان النبيُّ يجلس في المسجد بين أصحابه، فدخل المسجدَ غلامٌ صغيرٌ يبحث عن أبيه فلما رآه هَرَعَ إليه وارتمى بين أحضانه، فقبله أبوه وأجلسه في حجره، وبعد قليلٍ دخلتِ المسجدَ بنتٌ صغيرةٌ تبحث عن أبيها أيضا، فلما رأته هرعت إليه وارتمت بين أحضانه، فلم





يهتم لبها كما اهتم بأخيها قبل قليل، وإنما أنزلها عن حضنه وأجلسها على الأرض.

فلما رأى النبي هذا المشهد أقبل على الرجل معاتباً ومؤنباً له على تفريقه بين ابنيه، ونبهه على أن العدل بين الأبناء أساس التربية الصالحة.



مزاح النبي ﷺ

كان النبي ﷺ وقورا رزينا يهابه الناس جميعا، ولكنه كان في الوقت ذاته لطيفا ودودا مع الناس جميعا، يمازحُهم ويداعبُهم، يخفف عنهم همومهم، ويحاول إدخال البسمة على قلوبهم.

فقد جاءته مرةً امرأةٌ عجوزٌ تطلب منه أن يدعو لها لتدخل الجنة، وقد لاحظ النبيُّ ما يكسو محياها من همٍّ، فأراد أن يمازحها ويخفف عنها، فداعبها



وقال لها: ولكن أما علمتِ أنَّ الجنةَ لا يدخلُها عجوزٌ، فلما سمعت العجوز هذا الكلام حزنت وخرجت تبكي، فناداها النبيُّ ﷺ وقال لها: لا تبكي يا امرأة، أما علمتِ أنَّك إذا دخلتِ الجنةَ رجعتِ شابةً، فقد قال الله تعالى:




﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧)﴾

(الواقعة، ٣٥-٣٧)

فلما سمعتِ العجوزُ هذا الكلام ضحكت وسُرَّت سرورا عظيما، ورجعت وقد ذهب همها.

ومرةً جاءته امرأةٌ تستفتيه في أمرٍ، فسألها النبيُّ ﷺ من زوجُها؟، فأخبرته من هو، فسألها النبي ﷺ:

أذلك الذي في عينه بياض؟

فظنت المرأةُ أنَّ النبي يصف عيبا في عين زوجها،

فقالت: لا ليس في عينه بياض أبدا،

فضحك النبي وقال لها: وهل هناك عينٌ ليس فيها بياض.

وكثيرا ما كان النبي يمازح أهلَه ويؤنسُهم، فقد تسابقَ مرةً مع السيدةِ عائشةَ فسبقته لخفَّةِ وزنها، وبعد مدةٍ لما سمنت السيدةُ عائشة سابقَها رسولُ الله ﷺ فسبقها، فضحك

وقال لها: هذه بتلك.

وهكذا كان ﷺ دائما مهيبا وقورا لكن ما كان يمنعه ذلك أن يلاطف أصحابَه وأهلَه عندما يرى حاجةً لذلك.

وفاء النبي ﷺ

كان النبيُّ ﷺ وفياً لا ينسى المعروف أبدا، يُجِلُّ أصحابَه وأهلَه وعشيرتَه ويقوم بحقهم ويؤدِّي واجبَه أمامهم.

فقد كان يذكر معروف عشيرته معه ويرد جميلهم عنده ولا ينساه أبدا، فيذكر فضلَ عمِّه أبي طالب مع أنه مات كافرا، ولا ينسى فضل عمه حمزة عليه حين حماه ومنعه ونصره، ولا ينسى فضل المطعم ابن عدي حين أجاره وحماه بعد عودته من الطائف ولا فضل ابن البختري حين سعى في فك الحصار عن المسلمين وكثيرون غيرهم.

ومن أمثلة هؤلاء مرضعتُه حليمةُ السعدية، فقد جاءته مرةً تشكو إليه ما حلَّ بقومها من قحْطٍ وجفاف فأكرمها وأعطاها ما تريد.

ولما كانت تأتيه بعضُ صديقاتِ زوجتِه خديجةَ رضي الله عنها بعد موتها تسألنه بعض الحوائج كان يكرمُهنَّ ويقضي حوائجَهن ويقول للسيدة عائشة إنهن صديقاتُ خديجة.







بل إنَّه كان يكرمُ أصحاب الفضل ممن لم يكرموه، حتى إنه لما عرف أن ابنة حاتم الطائي المشهور بكرمه بين الناس كانت ضمنَ الأسرى بعد إحدى المعارك أمرَ بإكرامها وإطلاق سراحها، وقال لهم: إنَّ أباها كان يكرم الناس ويحب مكارم الأخلاق.

وكان يقول لأصحابه معلِّمًا لهم:

(من لم يشكرِ الناسَ لم يشكرِ اللهَ).

يسبق حلمُه غضبَه

كان في المدينة عالمٌ من كبار علماءِ اليهود اسمه زيد بن سعنة، وكان حريصا على التوثُّق من نبوة النبي ﷺ ليعرف الحقَّ من الباطل، فكان يقول: ما من علامةٍ من علامات محمدٍ المذكورة في التوراةِ إلا قد رأيتُها فيه ما عدا علامتين، أنه يسبق حلمُه غضبَه، وأنه لا يزيدُه تطاولُ الجاهلِ عليه إلا رفقا.

وذات يوم كان النبي ﷺ مع سيدنا عليٍّ يمرُّ في أحدِ طرق المدينة، وكان يراهما زيد بن سعنة من بعيد، فأقبل على النبي رجلٌ غريب عن المدينة فقال له: يا محمد إنَّ قبيلتي قد أسلموا فأصابهم القحطُ فأخاف إن يتركوا الإسلام، فهل عندك شيء تعينهم به، فالتفتَ النبيُّ ﷺ إلى سيدنا عليٍّ كرم الله وجهه يسألُه هل عندهم شيء يساعدون به هؤلاء، فأخبره سيدنا علي أنهم ليس لديهم ما يساعدونهم به.

وهنا انتهز زيد الفرصة فأقبل على النبي ﷺ، فقال له: يا محمد، هل تبيعني تمر هذا العام، فقبل النبي ﷺ وحددَّ له أجلاً ليستلم التمرَ وأخذَ منه ثمانين ليرةً ذهبيةً، وأعطاها لهذا الرجل، وقال له: خذها وأنفقها على قبيلتك.




ومضت الأيام، وقبل أن يحين موعدُ السداد بثلاثة أيام جاء زيدٌ إلى النبي ﷺ فأمسكه من ثيابه وأخذ يهزه ويعنفه ويطالبه بسداد التمر الذي وعده به واتهمه أنه أخذ المال منه ولم يعطه حقَّه وأساء له في القول، وكان يجلسُ في مجلسِ النبيِّ ﷺ سيدُنا عمر، فلما سمع إساءة زيد للنبي غضب وقام ليضربَ الرجلَ لما فعلَه في حقِّ رسول الله ﷺ، فنهره النبي وقال له: سامحك الله يا عمر، كان حريا بك أن تفعل غيرَ هذا، أن تأمرني بأداءِ حقِّ الرجلِ، وأن تأمرَ الرجلَ بحُسنِ الطلب، خُذه يا عمرُ، فأعطه التمر الذي يريد وزده عشرين صاعا إرضاءً له لأنك روعته.

وذهب عمر بزيد ليعطيه حقه من التمر، فأعطاه حقه وزاده عشرين صاعا، فسأله زيد عن هذه الزيادة، فقال: أمرني بها النبي لأني روعتك، وهنا أخبرَ زيدٌ سيدَنا عمرَ بمرادِه من هذا الأمر، وأنه كان يختبر النبي ويريد أن يعرف العلامة التي قرأها في التوراة أنه يسبق حلمُه غضبَه. ورجعا إلى النبي ﷺ فأسلم زيدٌ أمامَه، ولزم النبي ﷺ حتى استشهد في غزوة تبوك.



بارك اللهُ في العشرة

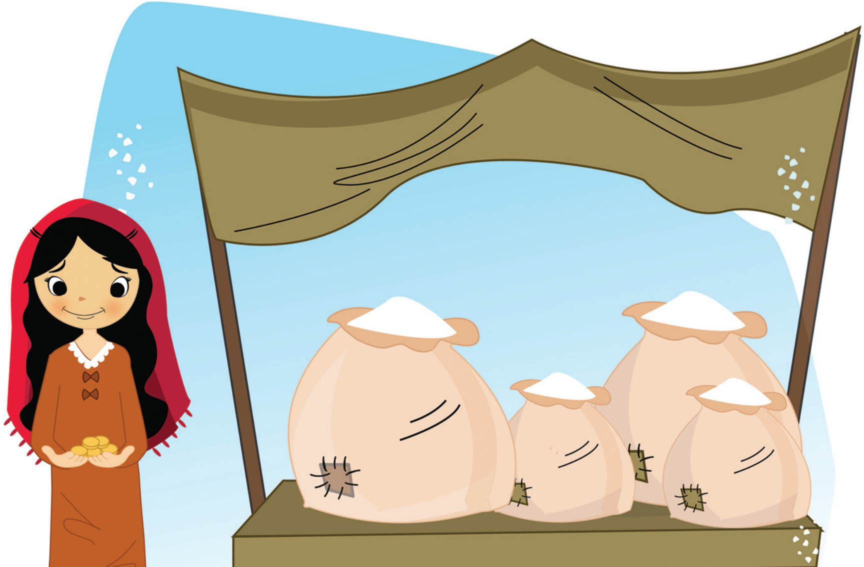
مَرَّ النبي ﷺ بسوق المدينة يريد أن يشتري ثوبا، فابتاع من أحد التجار ثوبا بأربعة دراهم، وخرج من السوق والثوب على كتفه، فرآه أحدُ الفقراء من أصحابه، فقال له:يا رسول الله، اعطني هذا الثوب أعطاك الله مثله في الجنة، فإني بحاجة إليه.

فرق النبي لحاله وأعطاه الثوب، وعاد إلى التاجر فابتاع منه ثوبا آخر بأربعة دراهم، ورجع إلى بيته، فبينما كان في الطريق إذ بجارية تبكي، فسألها النبيُّ ﷺ عن شأنها، فقالت: أرسلني سيدي بدرهمين لأشتري له طحينا فوقع مني على الأرض واختلط بالتراب، فلا أردي إذا رجعت الآن إلى البيت ماذا أقول لسيدي، وأخشى أن يعاقبني، فأعطاها النبي ﷺ درهمين لتشتري بهما طحينا غير الذي فسد، لكنها ذهبت وهي تبكي، فناداها النبي ﷺ، وقال لها: ما بالك، لماذا تبكين وقد أعطيتك الدرهمين؟، فقالت: يا رسول الله، أخشى إن عدتُّ




الآن إلى البيت أن يعنفني سيدي لتأخري عليه، فمضى النبي معها إلى سيدها، فلما وصلا إلى البيت طرق النبي الباب، وسلم على أهل البيت فلم يردوا السلام، ثم سلم الثانية فلم يردوا السلام، ثم سلم الثالثة ففتحوا الباب، وردوا على النبي ﷺ السلام، فسألهم النبي لِمَ لمْ يردوا عليه السلام، فقالوا: أحببنا أن تزيدنا من سلامك علينا، وقالوا للنبي ﷺ: مُرنا يا رسولَ الله، لِم أتيت إلينا؟، فأخبرهم النبي ﷺ أن خادمتهم هذه خافت أن تأتي وحدها خشية غضبهم عليها، فقالوا للنبي ﷺ: أبشر يا رسول الله، فهي حرة لأجلك، فقدومك عزيز علينا كثيرا.

فسُرَّ رسولُ الله من موقف هؤلاء، ودعا لهم، وقال: الحمد لله الذي بارك لي بهذه الدراهم العشرة، فقد كَسَتْ فقيرا وكَسَتْ نبيَّ الله وأعتقت جاريةً.



تصدقوا ولو بشِقِّ تمرة

بينما كان النبي ﷺ يجلس في مسجده إذ بجماعة من الناس تدخل عليه المسجد، وقد أعياهم الجوع والتعب، وكانوا لشدة فقرهم قد تمزقت ثيابهم فليس عليهم إلا ما يستر العورة، فدخلوا على رسول الله يسألونه طعاما وكساء، فاغتمَّ النبيُّ لما رأى حالهم، ودخل بيته علَّه يأتيهم بشيء يسُدُّ رمقَهم لكنَّه لم يجد، فخرج من بيته وأذَّن للصلاة، فجاء الناس إلى المسجد ينظرون ما يريد النبي ﷺ منهم.

فلما أقبل الناس قام النبي ﷺ فصعد المنبر وخطب فيهم وذكَّرهم بآيات الله تعالى، وكان مما قرأ عليهم قولُه تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ...﴾ (الحشر،١٨)

وقال لهم: أيها الناس، تصدقوا قبل أن يأتي وقتٌ لا تستطيعون فيه أن تتصدقوا، تصدقوا من مالكم،تصدقوا من طعامكم، تصدقوا من لباسكم، تصدقوا ولو بالقليل، تصدقوا ولو بنصف تمرة.





وبينما كان النبي يخطب ويحث الناس على مساعدة إخوانهم الفقراء قام رجل فوضع في يد رسول الله صُرَّةً من مال، فنظر فيها النبي فسُرَّ بها ودعا لصاحبها، فلما رأى الناسُ ما فعلَه الرجلُ قاموا جميعا إلى بيوتهم، وأتى كلُّ واحدٍ منهم بما يستطيعه، فواحدٌ جاءَ بحفنة تمرٍ وآخرُ جاءَ بدينارٍ وغيره بدرهم، فلما اجتمع كلُّ هذا عند النبي ﷺ وزَّعه على هؤلاء الفقراء و واساهم به.

وهكذا المسلمون لا يجوع بينهم أحدٌ أبدا، فإذا افتقرَ أحدُهم أو احتاج هبُّوا لمساعدته كلٌّ بما يقدِر عليه.

أفشوا السلام

كان المسلمون ينتظرون النبي ﷺ على مشارف المدينة لما سمعوا بهجرته إليهم، وكانوا يتوقون للقائه وسماع حديثه، فكثير منهم لم يرَ النبي من قبل، وبينما الناس ينتظرون تحت حَرِّ شمس الظهيرة وإذ بالنبي ﷺ وصاحبه أبي بكرٍ يُقبلان من بعيد، فهَرَعَ الناسُ إليه يهللون ويكبرون، فرحاً وسعادةً بمقدم النبي ﷺ.







ولما اجتمع الناس حول النبي ﷺ وأرادوا أن يستمعوا منه قال لهم النبي ﷺ أول ما قال:

(أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصَلُّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام).

وما كان النبي ليبدأ بهذه الأمور في أول حديثٍ بينَه وبينَ المسلمين في المدينة لولا أنها مهمةٌ جدا في تعاليم الإسلام.

وكثيراً ما كان النبي ﷺ يؤكد على أهمية السلام ونشرِه بين الناس ليكون شعارَ المسلم وتحيته التي يلاقي بها الآخرين ويتواصل بها معهم ويتودد بها إليهم.

فكان يقول لأصحابه:

(احذروا من البغضاءِ فإنها تدمر الأمم وتفرِّق الجماعات، فوالله لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تتحابوا، ألا أدلُّكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم). أو كما قال عليه الصلاة والسلام

وكان مرة يوصي بعضَ أصحابِه، فقال له:

يا أنس، سَلِّم على من لقيت من المسلمين تكثرْ حسناتُك.

وكان النبي يحذر من ترك السلام، ويصف من يفعلُ ذلك بالبخيل، فقال مرةً: أبخلُ الناس مَنْ بخلَ بالسلام.

فكان النبي ﷺ يحرص على أن يشيع السلام بين المسلمين، ليصبح مجتمعُهم مجتمعَ السلام والمحبة.

رحمة النبي ﷺ بأعدائه

كان في الجزيرة سيدٌ من ساداتِ بني حنيفة إحدى قبائل العرب المشهورة، وكان يحاول جاهدا أن يقتل النبيَّ ﷺ، فيرسلُ أعوانَه لقتل رسولِ الله وإيذائه.

وذات يوم أراد ثمامة أن يزور مكة، ولما كان في الطريق أَسَرَتْه سريَّةٌ من سرايا المسلمين، وأتوا به إلى النبي ﷺ، فلما رآه النبيُّ أمرَ أن يُرْبَطَ في ساريةٍ من سواري المسجد قرب باب بيته، ليرى ثمامةُ المسلمين في صلاتهم، فقد كان رسول الله يرجو أن يسلمَ ويسأل الله تعالى ذلك، وأمر النبيُّ أصحابه أن يكرموه ويأتوه بما يريد من طعام وشراب.

وكان يأتيه النبيُّ ﷺ كلَّ يومٍ ويسأله ماذا يريد وماذا يظن أن النبي سيفعل به، فيقول له ثمامةُ: يا محمد، إن قتلتني فأنت محقٌّ لأني آذيتك كثيرا في الماضي، وإن عفوتَ عني فلن أنسى لك ذلك المعروف، وإن أردت فديةً ومالا أعطيتك ما تريد، ولكنَّ النبي كان يريده أن يُسلم.

وبعد فترةٍ أمرَ النبيُّ ﷺ أصحابَه أن يطلقوا سراحه، وأعطاه ما يريدُ حتى يصلَ إلى قومه، فخرج ثمامة إلى أطرافِ المدينة، فاغتسل ولبس ثيابا جديدة، ورجعَ إلى النبي وهو في مسجده فأسلم بين يديه،




وقال له: يا محمد، قد كنتَ أبغضَ الناس إليَّ، وكان دينُك أبغضَ الأديان إلى قلبي، ولكنك الآن أحبُّ الناس إلىَّ ودينُك أحبُّ الأديان إلى قلبي، ففرح به النبي ﷺ وبشَّره بالجنة، وأمره أن يزورَ مكة كما كان يريد وأن يعتمرَ فيها.

وذهبَ ثمامةُ إلى مكة فعرف حلفاؤه من قريش بإسلامِه، فنهروه وغضبوا عليه كثيرا، وقالوا له: كيف تترك دينك ودينَ آبائك وأجدادك، فقال لهم: إني وجدت دين محمدٍ هو الحق وما كنتُ عليه هو الباطل، ودعاهم إلى الإسلامِ ولكنَّهم رفضوا، فقال لهم: إذن والله لا ترون بعد اليوم حبةَ قمحٍ واحدة تأتيكم مني إلا أن يأذنَ رسولُ الله بها.

ورجعَ إلى قومه ومنعَ عن قريش القمحَ الذي كانوا يشترونه من قبيلته، فلما ضاقت الحال بقريش و نتهى مخزونهم من القمح كتبوا رسالة إلى النبي ﷺ يرجونه فيها أن يأمرَ ثمامة بإرسال القمح إليهم فقد جاعوا وقلَّ الطعام عندهم.

فما كان من النبي الرحيم ﷺ إلا أن أرسل إلى ثمامة وأمره أن يبيعهم القمح، رحمةً بهم وبعياهم وضعفائهم، وهكذا كان النبي دائما شريفا وعظيما حتى مع أعدائه وخصومه.

يأتيكم
عكرمة بن أبي جهل
مؤمنا مهاجرا

كان عكرمةُ من أشد أعداء رسول الله ﷺ ضراوةً، فقد تشرَّب عكرمةُ بن أبي جهل العداوةَ من أبيه الذي كان أشدَّ أعداءِ الإسلام حتى لُقِّب بفرعون هذه الأمة، ولكنَّ عكرمة استمر وزاد في العداوة للدرجة التي جعلت الرسول ﷺ يهدِرُ دمه، فقد أهدر الرسول ﷺ دَمَ مجموعة من المشركين، وقال:

اقتلوهم ولو تعلقوا بأستار الكعبة.

وكان من هؤلاء عكرمةُ بن أبي جهل، وكان ممن قاتل ضد خالد بن الوليد في فتح مكة، ولكنه بعد هزيمتِه فرَّ من مكة المكرمة، واستمر في هربه حتى وصلَ إلى البحر




ليأخذَ سفينةً وينطلق بها إلى اليمن، فهو مطلوبُ الدم، وإذا وجده الرسولُ فسيقتله.

ولكنْ كانت زوجةُ عكرمة أمُّ حكيم ممن أسلم في يوم الفتح من أهل مكة، فذهبت إلى الرسول ﷺ لتستشفع عنده لعكرمة بن أبي جهل كي يعودَ إلى مكة المكرمة آمنًا، وقالت أمُّ حكيم للرسول ﷺ:

قد هرب عكرمةُ منك إلى اليمن، وخاف أن تقتلَه فأمِّنْه،

فقال الرسول في يُسرٍ وسهولة: «هُوَ آمِنٌ».

ولم يذكر لها أنه مُهدر الدم، ولم يذكر لها التاريخَ الطويل له في إيذاء المسلمين، فخرجت أم حكيم الزوجةُ الوفية تبحث عن زوجها، وذهبت حتى وصلت في رحلةٍ طويلة إلى عكرمة وهو يحاول أن يركب سفينة في ساحل البحر الأحمر متجهًا إلى اليمن، وكان عكرمةُ يتجادل مع رُبَّان السفينة التي سيركبها، لأنَّ ربان السفينة كان مسلمًا، فقال له قبل أن يركب: أخلِص.



فقال عكرمة بن أبي جه:

أيُّ شيء أقول؟

فقال الربان لعكرمة: قل: لا إله إلا الله.

فقال عكرمة: ما هربتُ إلا من هذا.

وهو ما يزال في هذا الحوار مع ربان السفينة، إذْ بأم حكيم رضي الله عنها تأتي في هذه اللحظة، فقالت: يابنَ عمٍّ، قد جئتك من عند أوصلِ الناس، وأبرِّ الناس، وخيرِ الناس، لا تُهلك نفسَك، إني اسْتأمنتُ لك محمدًا.

فقال لها: أنتِ فعلتِ هذا؟

قالت: نعم.

وعكرمةُ بن أبي جهل في ذلك الوقت يرى الدنيا كلها قد ضُيِّقت عليه، فأين يذهب؟ هو يريد أن يذهب الآن إلى اليمن، ولكن اليمن صارت مسلمة، وبقاع الأرض تتناقص من حوله، والجميع الآن يدخلون في حلفِ ودينِ محمد، فأخذ عكرمةُ قرارًا سريعًا بالعودة معها دون تفكيرٍ طويل.

عاد عكرمةُ بن أبي جهل إلى مكة المكرمة، وقبل أن يدخل مكةَ المكرمة إذ برسولِ الله ﷺ يقول لأصحابه كلمات جميلة، قال:

«يأتيكم عكرمةُ بن أبي جهل مؤمنا مهاجراً، فلا تسبوا أباه، فإنّ سبَّ الميت يؤذي الحي ولا يبلغُ الميت». أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

فأيُّ رحمةٍ هذه التي كانت عند رسول الله ﷺ !!

فأبو جهل كان فرعونَ هذه الأمة، ومع ذلك فالرسول ﷺ يأمر الصحابة ألاَّ يلعنوا أبا جهل فرعون هذه الأمة أمام ابنه عكرمة ؛ لكي لا يؤذوا مشاعر عكرمة، مع أن عكرمة حتى هذه اللحظة لم يسلم بعد.




ودخل عكرمةُ بن أبي جهل إلى مكة المكرمة، ومن بعيد رآه الرسولُ ﷺ، وانظروا إلى ما حدث! فقد وثب إليه الرسول ﷺ فرحًا به، وانظروا إلى أسارير الرسول كيف انبسطت عندما رأى عكرمة بن أبي جهل يعود إليه، وهو على أبواب الإسلام، برغم أن عكرمة كان أحد الذين حاربوا الرسول ﷺ قبل ذلك وقاوموه ومنعوه! ومع ذلك يستقبله الرسولُ ﷺ هذا الاستقبال الحافل.

جلس عكرمةُ بين يدي رسول الله ﷺ، وقال:

يا محمد، إن زوجتي أخبرتني أنك أمَّنتني

فقال الرسول: «صدقتْ، فأنت آمن».

فقال عكرمة: إلامَ تدعو يا محمد؟

فقال له ﷺ:

«أدعوك أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وأن تقيمَ الصلاة وأن تؤتيَ الزكاة..»، وأخذ يعدِّد عليه أمور الإسلام، حتى عدَّ له كل خصال الإسلام،

فقال عكرمةُ: ما دعوتَ إلاَّ إلى الحق.

أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأشهدُ أنك يا محمدُ رسولَ الله.

وأسلم عكرمةُ، وحسن إسلامُه حتى صار من كبار قادة جيوش الفتوح الإسلامية، ونشر الإسلام في كل مكان حلَّ فيه.

واللّه ما هذا بملك

كان عديٌّ بن حاتم نصرانيا، وهو ابن حاتم الطائي المشهورُ بين العرب بالكرم، وكان حاتم سيداً شريفاً في قومه، فلما سمع برسول الله ﷺ كره دعوتَه وهرب بأمواله وأهله إلى الروم إلا أختاً له لم تسافر معه وبقيت مع قبيلتها.

ولما انتصر رسولُ الله ﷺ على قوم عدي كان من ضمن الأسرى أختُ عدي وكان اسمها سفانة، فلما وصل الأسرى إلى المدينة، طلبت سفانةُ أن تتحدث إلى رسول الله ﷺ، فقالت له: يا محمدُ، مات الوالد وغاب الأخ، ولم يبق لي معيل، فامنُن عليَّ وأطلقْ سراحي.

فقال لها النبي: ومن والدكِ؟

فقالت: حاتم

فقال النبي: إنه كان يحب مكارم الأخلاق، ومن أخوكِ؟

فقالت: عدي

فقال النبي: هذا الهارب من الله ورسوله.

ثم قال لها: ما تريدين؟




فقالت: أريد أن ألحق بأخي.

فقال لها النبي: أنتِ حرةٌ، فأعطاها رسولُ الله ما تحتاجُه في سفرها وأكرمَها وأرسلها مع قافلةٍ حتى تصلَ إلى حيثُ تريد.

فخرجت سفانة تبحث عن أخيها حتى وصلت إليه، ففرح بها عديٌّ، وسألها عن النبي ورأيها فيه،

فقالت: والله يا عديُّ أرى أن تذهب إليه فتجالسه، فإن كان نبيا أسلمتَ معه، وإن كان ملكا عرفتَه.

فاستجاب عديٌّ لنصيحة أخته وسافر إلى المدينة المنورة، ولما وصل عدي إلى المدينة خرج الناسُ يستقبلونه، واستقبله النبي وأراد إكرامه فمضى به إلى بيته، فلما كانا في الطريق إذ بامرأةٍ عجوز تقترب من النبي ﷺ فتشكو له همها وتطلب منه أن يُعينها على قضاء حاجتها، فيقف لها النبي ﷺ ويستمع لها حتى يقضي لها حاجتها، ثم يمضيان إلى البيت، فلما دخلاه رأى عديٌّ بيتا متواضعا جدا ليس فيه من نعيم الدنيا شيء، فأثر ذلك في نفس عدي، وقال في نفسه: والله ما هذا بملك، إنه والله نبيٌّ حق.



رحمة النبي ﷺ

إن الشيطان يخاف منك يا عمر

كان النبيُّ ﷺ قد خصص يوما للنساء يأتينه فيسألنه عما يردن، ويعلِّمُهنَّ النبيُ ما يأتيه من الوحي والقرآن.

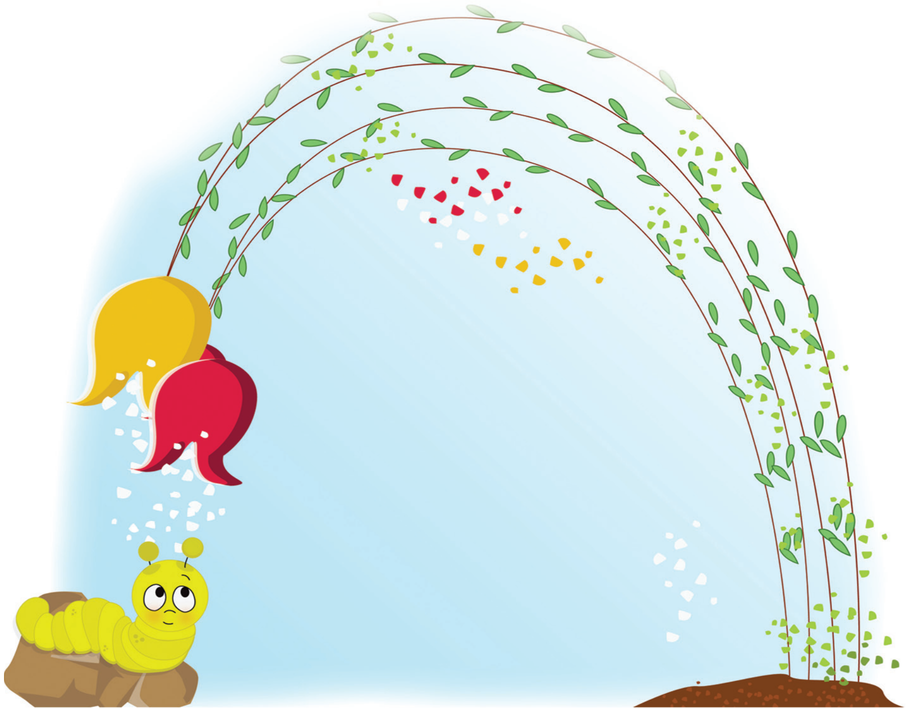
وذاتَ مرة علت أصواتُ النساء في حضرة النبي، فكلٌّ واحدةٍ تريد أن تسأله، وبينما هنَّ كذلك إذ بالباب يُطرَق، ويقول الطارق: أنا عمر، أأدخل يا رسول الله؟، فما إن سمعت النساءُ صوت عمر حتى قُمن واختبأن خلف الستارة خوفا منه.

فلما دخل عمرُ رأى النبيَّ ﷺ يضحك، فسأله عمر عما يضحكه، فقال له النبي: عجبا لهؤلاء النسوة اللاتي كنَّ هنا، لما سمعن صوتَك خافوا منك واختبؤوا خلف الستارة، فغضب عمرُ وقال للنسوة:

كيف تفعلن ذلك، هل تهبنني أكثر مما تهبن رسولَ الله ﷺ، فقالت له النسوة: نعم لأنك فظٌّ قاسٍ، ورسولُ الله ليس كذلك.

فلما سمع النبي قولهن لعمر التفت إلى سيدنا عمر وقال له: والله يا عمر إنك لقوي ولكن في الحق، وإن الشيطان إذا رآك خاف منك وسلك طريقا آخر.

فسُرَّ عمر بكلام النبي ﷺ الذي كان يعطي لكل صاحبٍ من أصحابه حقه.





الوداع الأخير

لما كانت السنةُ العاشرة للبعثة حجَّ النبي ﷺ حجتَه الأخيرة إلى البيت الحرام مع جمْعٍ كبيرٍ من أصحابه، وفي يوم عرفة أعظمِ أركانِ الحج جمعَ النبيُّ ﷺ أصحابه، وخطب فيهم خطابَه الأخير وأوصاهم آخر وصاياه، فجمع في خطبته هذه خلاصة الإسلام وأهم الوصايا، وكان مما قاله النبي ﷺ في هذه الخطبة:




أيها الناس، اسمعوا مني، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا.

أيها الناس، كلكم إخوة، فإن ربكم واحدٌ وأباكم واحد.

أيها الناس، إنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرامٌ عليكم، فلا يقتلْ أحدٌ أخاه، ولا يسرقْ ماله، ولا يسبه.

أيها الناس، أدوا الأماناتِ إلى أهلها، ومن كان عنده أمانة لأخيه فلا يغصبها.

أيها الناس، لا تأكلوا الربا والمالَ الحرام، وأعطوا الناس حقوقها، ولا يأخذ أحدُكم من مال أخيه إلا ما أعطاه إياه عن طيب نفس.

أيها الناس، أحسنوا إلى نسائكم، وأدُّوا لهن حقوقهن ولا تظلموهن شيئا أبدا.

أيها الناس، إني تركت لكم أمرين إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا، تركت فيكم كتابَ الله وسنتي، حافظوا عليها والتزموا بما جاء فيها.

أيها الناس، إن الله سيسألكم عني غدا، فماذا ستقولون له:

فصرخ الناس جميعا: نشهد أنك قد أدَّيتَ الرسالة، وبلَّغتَ الأمانة، ونصحتَ الأمة.

فرفع النبيُّ ﷺ يده إلى السماء وقال: اللهم فاشهد، اللهم فاشهد.....

